دون جوان العرب[1]

عمر بن أبي ربيعة

مهداة الى الصديق الاستاذ حسين الزوري
تحية اعجاب بقوله : « ان الفنان
يحيل أحداث حياته الى ان كما يحيل
النحل ريق أزهار الحقول الى شهد »
محمد فهمي

عمر بن أبي ربيعة من الشعراء القليلين في الادب العربي الذين يشبز شعرهم بالصدق وقد أكثر في شعره من وصف مليحات العرب المترفات والتشبيب بهن وكثرت غزواته للظعن حتى كان له من الشهرة وذيوع الصيت ما جعله على أفواه الناس في عصره فاتتن الكثيرون من الرجال بشعره ومن النساء بشخصه . وقد تخيله المؤلف في هذه القصة بعد البعث في الدار الآخرة

الفصل (١) . المنظر (١)

منظر الفردوس في الصباح حدائق وبساتين مزينة أجمل زينة احتفالا بقدوم عمر بن أبي ربيعة الى الجنة بعد اطلاق سراحه من النار وجماعات الخالدين وأكثرهم من نساء الناس في طرب وحبور حيث تسمع موسيقى وأنغام وأصوات مركب قدم على البعد . ويرى في جانب المسرح بعض من حور الجنة وقد اجتمعن لمشاهدة الموكب.

حورية لأخرى — أنظري يا سندس ما كنت أعتقد أن الانسيات ذوات الظفر يُبْدين كل هذا السرور !

سندس — اسمعي يا نشوة لسذاجة غَيْدائه .... ذوات الظفر؟.. أن نزواتهن لاحد لمداها . . .

حورية أخرى — (بغمزة عين) سيما اليوم !

حورية — كم انتظرنا هذا اليوم بفارغ الصبر !

(١) من كتاب قصص « دون جوان العرب » يصدر قريبا : تأليف الاستاذ محمد فهمي

حورية لأخرى — (بنبرة ذات معنى) ليحتفلنَ بقدوم من كان أثيراً لديهنَّ في الدنيا

حورية — يقال إنه سيأتي الخلد بنوع طريف من الحب .

حورية — وقيل إن في هذا الحب شقاء لذيذاً

حورية — بل سمعتُ إنسيّة تقول إنه سيوقد في قلوب الغيد ناراً . . .

حورية (بفزع) — نار ؟ ! . . . أعوذ بالله . . قد نجانا الله منها .

حورية (باسمة) — نارٌ بيضاء يا غبية ! !

— — والنار الأخرى ؟ !

— — تلك حمراء تحرق الأجسام أما نار الحب فتطهر القلوب (ثم تضحك)

حورية أخرى — سمعتهنَّ يتحدثنَ عن نار ذلك الحب بأنها شديدة الألم شديدة اللذة معاً هي الجنة والنار في آن ! !

أخرى — الجنة والنار من خلق الله سبحانه !

أخرى (باسمة) — جنة ونار للقلب ياغريرة . .

أخرى — والله لتصيرنَّ في الخلد فتنة ! !

أخرى (ضاحكة) — فتنة لذيذة ! !

(وهنا تكون ضجة الموكب قد اقتربت وتسمع موسيقى وغناء وأصوات تهليل وفرح)

حورية (بفرح) — ها هو الموكب قد أقبل .

حورية لأخرى — أنظري اليه يا مفاتن أنه هناك على فرس أشهب يخف به الخالدون .

مفاتن — آه . . . ذلك المشرق الوجه معتدل القوام !

حورية أخرى — ان ملامحه تنطق بكل معاني النُّبل .

حورية — عجباً وإنها لتزداد مع التأمل فتنة ! !

حورية — يقولون إن حديثه فنونٌ من السحر .

حورية — والأخطر منه معاشرته إذ سمعت أنها كالنار من مسّته تركت فيه وشمها الى الأبد .

حورية لأخرى (بلهفة) — ها هو يبتسم أما ترين ثنيته المكسورة ؟ !

— — إنها لتزيده ملاحة .

حورية — يقولون انها كسرت في حادث غرام ! !

حورية — هُمِسْ . . ها هو الموكب قد شارف الربوة النظري يا سندس اليه وقد ترجَّل تأملي مشيته !

سندس — كم توحي بالجلال والمهابة !

غيدانة — يقال إنه من أنبل عائلات قريش

(وهنا يدلي الموكب الى ربوة من ربى الخلد حيث يجلس عمر بن أبي ربيعة على احدى الارائك تحت ظلة من ظلل الفردوس وقد أقبل عليه حبيباته في الدنيا السلام)

تتقدم إحداهنَّ — سلامٌ على ابن ابي ربيعة : -

عمر (متهللاً) — أهلاً هند . أنت هنا ؟ شكراً لله . . . ما كل هذا الحُسن ؟ أتُشعلينها أيضاً في الخلد فتنة ؟ !

هند «ضاحكة» — في كل مكان . . هذه رسالتنا

أخرى — سلامٌ على ابن ابي ربيعة .

عمر — والثريا ؟ أهلاً بربة الدلال . ما أسعدني ! (ثم متنهداً) إيه ثريا القلب !

أخرى — سلام على السُّعيريّ !

عمر — يامرحباً بنعيي . . . سلمتِ ودام سحر لحاظك !

عائشة — حلَّ الربيع بالفردوس يا أبا الخطاب .

عمر — أهلاً أهلاً بربيع الحُسن وفتنة البدو والحضر !

عائشة «ضاحكة» — هكذا ؟ ! . ما زلتَ أنتَ هو أنتَ ! . . . ليس في الخلد مكانٌ اشباك إغرائك ! !

عمر (باسماً) — بل في كل مكان حيثما يوجد الحُسن « ثم ضاحكاً » هذه رسالتنا . . ! !

(عمر ملتفتاً الى بعيد ثم منادياً) — أقبلي أقبلي يا حبابة ما أكثر وفاءك فلقد روَّيتِ التراب بدموعك حُزناً على فراقي الدنيا

حبابة «ضاحكة» — أنا . . . ؟ من أخبرك ؟

عمر — لا تُنكري . . . هنا تتكاشف القلوب . . هيا تناولي مزهرك واسقينا خمر أنغامك ! !

عمر ملتفتاً ثم «هاتفاً في دهشة» — والرباب هنا ؟ أهلاً أهلاً بقُرَّة عيني . الآن طاب لي الخلود . . !

(الرباب تختفي بسرعة خلف خيمة من خمائل الجنة)

(في الجانب الآخر من المسرح)

حورية لأخرى — أرأيتِ تلك الإنسية ؟ ظلَّت تتبرَّج له بفنون الاغراء فلما ناداها اختفت في الخمائل .

حورية (بتهكم) — هكذا كان شأنهنَّ في الدنيا

حورية — وبهذا كنَّ يستأثرن أقوى غرائز الرجال

حورية — هيا نجرب ذلك هنا .

حورية — لم يأمرنا به الله .

حورية — الله أمرنا أن نمتِّع الخالدين وهذا مما يزيدهم متعة .

حورية — ولكنه شيء جديد . ربما لو فعلناه خالفنا ارادته سبحانه

حورية — كلاَّ . . . لأننا لو فعلناه فمناه انه كان مكتوباً في الأزل .

حورية — أنا لن أفعل .

حورية — أما أنا فسأجرب

أخرى — هس . . . ها هي حبَّابة بدأت تغني

(وهنا يسمع توقيع موسيقى ثم غناء من شعر ابن أبي ربيعة)

ما بال قلبك ما يزال يُهيجه ذِكَرٌ عواقب غِبهنَّ سقامُ

ذِكَرٌ التي طرقتك بين ركائبٍ تمشي بمرهرها وأنتَ حرام

(ستار)

المنظر (٢)

(تسمع موسيقى ساحرة بضع لحظات قبل رفع الستار ثم يرتفع الستار قليلا قليلا (والموسيقى تعزف) عن بهو بديع في فيلا جميلة وسط خمائل الجنة حيث يشاهد عمر بن ابي ربيعة في جماعة من أصحابه جالسين في مرح وحبور في مجلس شراب أمامهم الكئوس والزهور والرياحين وحولهم الولدان المخلدون في ملابس زاهية فاتنة يحملون الدنان والاباريق مرصعة بالجواهر والياقوت ويرى في صدر البهو مسرح تجلس عليه الفرقة الموسيقية تعزف ألحانها وحبابة محتشدة عودها حتى ينتهي العزف)

الجميع (في تهليل) — بديع ! بديع . . .

أحد الجالسين لآخر — اتعد أضنى قدوم ابن أبي ربيعة على الخلد فتنة وأي فتنة !

ثان — لقد كان احتفالنا بقدومه الاسبوع الماضي رائعاً

ثالث — سيكون احتفالنا به اليوم أروع !

آخر — لقد بدأت حبابة !

(حبابة تبدأ تغني من شعر ابن أبي ربيعة :)

كدتُ يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني مِتّ قبل يوم الرحيل
ما أطيق الكلام من شدة الوجـــد ودمعي يسيل كل مسيل . . .

* * *

(الجماعة يبدون اعجابهم الشديد)

أحدهم — إيه يا حبابة . . أسعدينا . .

ثان (وقد مدّ ذراعيه موجهاً اليها الخطاب) — بالله يا ساقيَ الأرواح (حبابة تلتفت اليه) روّي ظمأك !

حبابة (تبتسم وتجيب بانحناءة خفيفة برأسها) — . . .

(وبعد لحظة تعود الفرقة العزف لتبدأ حبابة الغناء وتغني من شعر ابن أبي ربيعة)

كتبتُ اليك من بلدي كتاب مُوَلَّهٍ كمدِ
كئيبٍ واكفِ العينـــين بالحسرات منفرد
يؤرّقه لهيب الشوق بين السّحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح دمعه بيد

(ثم يستدل ستار مسرح البهو بينما الجماعة يبدون الاعجاب الشديد)

أحدهم (بعد لحظة) — هذا والله الذي فعل بقلوب الغيد الأفاعيل !
آخر (باسماً موجهاً الخطاب لعمر) — هذه بعض رقى سحرك يا ابن أبي ربيعة
ثان (ضاحكاً) — بل بعض تفثات سحك أيها الدجّال !
ثالث (ضاحكاً) — صلّ الغواني . ها . ها . ها (الجميع يضحكون)
أحدهم (رافعاً كأسه) — املأ أيها الساقي
الساقي (أحد الوالدان المخلدين وقد أسرع) — لبيك مولاي (ثم تسمع قرقرة صبّ الخمر في الكؤوس)
آخر (رافعاً كأسه) — لنشرب هذه على قول ابن هاني :

واشرب على الورد من حمراء كالورد !

(الجميع في مرح ها ها ها ثم يشربون)
ثان (وقد أفرغ كأسه) — هلمّ يا ساقي (يسرع اليه أحد الوالدان المخلدين)
الساقي — لبيك مولاي ! (ثم تسمع قرقرة صب الخمر في الكؤوس ثم تلامس الكئوس)
الثاني — (وقد رفع الكأس الى فمه) وهذه على قوله :

لو مسّها حجرٌ مسته سراء (الجميع يضحكون ويشربون)

أحدهم لعمر — والله لست أدري أيهما ألذّ . أخمرتك وابن هاني أم خمرة الساقي ؟! ..
ثالث — (وقد مدّ يده بالكأس للساقي) أما أنا

فاسقني حتى تراني أحسب الديك حمارا (الجميع يضحكون ها ها ها)

آخر لنفسه (وقد أثقلت الخمر لسانه وبدأت تلعب برأسه) — الخمر .. الخمر .. يخيل لي أن لصّاً كان قد سرقها من الجنة وفرّ بها الى الأرض !
أحدهم (هاتفاً) — يا له من لص !
آخر — فلنشرب نخب ذلك اللص (الجميع يضحكون ثم يشربون)
أحدهم (مخاطباً عمر) — ما عهدتك يا ابن الخطاب في الدنيا من عشاقها .
آخر — دهشاً — لم يكن من عشاقها ؟ ان لكلامه رنين ضحكها في الكأس .

ثانٍ — بل له رَوْح رحيقها هبّ على الشاربين !
آخر — بل ما أغاله إلاّ رحيق الحُسن عُتّق في دنان الشعر !
عمر — بهدوء — أنا خمري. كانت لم تمسسها يد قاطف ولا عاصر !
أحدهم — (متسائلا) عجباً ؟ وأي خمر تلك يا ابن أبي ربيعة ؟
عمر — سحر العيون في كاسات المُقَل وخمارات القدود على جمر الفؤاد !
المتسائل (وكأنما قد تذكر) — آه .. تلك خمر (ثم صائحاً بحرقة) جهنمية !
الثالث (في تلعثم السكر وقد مدّ عنقه بشدة نحو عمر) — ومن أين سرقتها ؟ !
المتسائل (صائحاً) — من الجحيم ! (الجميع يضحكون)

(وهنا تسمع ضجة وجلبة خارج المجلس بين جمع من النساء)

عمر — ما هذه الضجة ؟ !
أحدهم: لعُمر (وقد أطلّ من شرفة البهو). الحور يُردنَ لقاءك وصاحباتك الانسيات يمنعهنّ
عمر (ضاحكاً) — دائماً النساء هنّ النساء !
آخر (في دهشة) وقد أطلّ من الشرفة — ما أبهج ما أرى ؟ لكأن الجنة رُصّعت بأزهى لآلىء الخلد !

(أكثر من في المجلس يتجه الى الشرفة تبدو على وجوههم آيات الدهشة والاعجاب ويهتفون)

— تباركَ المبدع المصوّر !
أحد الجالسين لعمر — أنتَ الذي أوقعتَ بينهنّ إذ فضّلت صاحباتك على الحور .
وإني والله لدهِشٌ من تصرفك !
عمر — شكراً لله أن منّ علي الكثير من صاحباتي بنعمة الخلد . فهنّ عندي أغلى وأعز !
آخر متعجباً — من الحور ؟
عمر — أنا أقر بأن الحق أجل . ولكن صاحباتي تكسوهنّ الذكريات مفاتن محببة !
ثانٍ — تستطيع أن تصحب من الحور من تشاء فتكون لك معهنّ ذكريات .
عمر — نفس صاحباتي أعز . فهنّ أقدم صحبة . وقد تقسّم حبهنّ الفؤاد فلم يبق فيه موضع لقدم .

أحدهم ضاحكاً — قدم ! ها ها ها ... وهل تدخل الجميلات فؤادك بالاقدام ؟ !

عمر — إن أشهى المناظر الى قلبي رؤية قدمَيّ الجميلة عاريتين !

(وهنا تشتد الضجة والمشاحنة بين الحور والانسيات في الحديقة حيث تسمع مجادلة بينهن)

إنسية (صائحة) — لا لن نسمح لكنّ بالدخول .

إنسية (تهمس لأخرى بدهشة) — انظري يا اسماء تلك الحورية المبّاسة القد لو رآها لافتتن بها .

اسماء — بلاشك. فاني أعرف له قلباً كالشراع توجهه ريح الحسن كيف تشاء (ثم صائحة) لا . لن تدخلن أبداً .

الرباب لهند (بلهفة)— انظري: انظري يا هند تلك الحورية التي تتلألأ في ثوبها السندسي !

هند (تشهق في دهشة)— لكأن بريق الماس قبسٌ من أضواء جسمها ! (ثم لصاحبتها) وتلك السمراء المشتعلة . انظري .... لكأن بسمتها اشراقة كوكب يتنوّر !

الرباب — بل تأملي تلك التي كأنما كل أضواء القمر أُوتيت على محياها (ثم صائحة) لا لن نسمح بالدخول أبداً

(وهنا يشتد ضغط الحور ويوشكن على الدخول)

الثريا لزينب (في اضطراب) — تُرى صُدِقتنا بهنّ أم يفي لنا كما وعد ؟ !

زينب — يا لك من غبية ! وهل نسيتِ كيف كانت في الدنيا مواعيده ؟

(وهنا الحور يتدافعن الى الداخل وقد تغلبن على الانسيات ثم يندفعن الى داخل البهو فتجتمعن في حيث يجلس ابن أبي ربيعة بين أصحابه)

الحورية السمراء الفاتنة — (تخاطبه) — ما هذا الاعراض ؟ منذ أن منّ الله عليك بنعمة الخلد وأنت متباعدٌ عنا مشغول بإنسياتك !

حورية باسمة (بدلال) — نحن نحن الحور ... !

حورية — أنظر كيف أبدع الله تصويري ؟

الحورية المباسة — القد (بتأوّد) — وأنا تأمّل تكويني !

الحورية — التي في بريق الماس (تتقدم بدلال وهي تبتسم حتى تصير في مواجهته ثم تعرض جمالها في أوضاع فاتنة بأثوابها السندسية وتقول) — تبارك الذي خلق !

جميع من في المجلس (يهتفون) — تبارك المبدع المصوّر !
في أقصى (البهو) (أحدهم لجاره بشبه حسد) — كأن لم يَعُد في الخلد غير ابن أبي ربيعة !
الجار — انه الحِصْن المستعصي عليهنّ !
جار آخر — تُرى الى متى سيقاوم ؟
آخر — وهل يُقاوَم سحر الحور ؟
حورية (بحنق) — انه يصر على العناد . فما زاد على أن ابتسم !
الحورية السمراء — هذا تحدٍّ لارادة الله !
أخرى (بحدة) — أيبدعُنا الله لهم ليُعرضوا عنا ؟
حورية لأخرى — وماذا نفعل في الخلد اذا اقتدى به الآخرون ؟
السمراء المليحة (بشبه همس) — ان لم نفتِنْه فقد ضعْنا .
عمر — (باسماً : وقد سمعها) — والله كان بودّي بإحسان للخلد . ولكني لا أستطيع وهؤلياء حولي (مشيراً الى الانسيات اللائي التففن حوله)
حورية — كنتَ في الدنيا حاذقاً في التخلص . وكم لك في الكذب معيناً من سوابق .
عمر (باسماً) — ولكنا هنا لا نقول إلاّ الصدق !
السمراء المليحة — إكذب ولو مرة !
عمر — أعوذ بالله ! وهل لي بعذاب جهنم وهياط النار في جسدي ؟
إنسية (تتقدم الى الحور) — أما كفى ؟ انه لا يريدكنّ !
الحورية المياسة القد (وقد لاحظت عمر يتأملها بشغف عديد) — بالعكس بل هو يريد. انظري ... لكأن شعاع روحه المنبعث من عينيه ذراعان يريدان احتضاني !
الانسية — وماذا يمنعه أن يفعل ؟ وهو هنا من الخالدين يفعل ما يشاء !
الحورية — لعله يخشاكنّ . أو ربما سحرتنّ له . فأنتم من الانس والشياطين أبناء عم !
الانسية — وهل كان يخشانا في الدنيا حتى يخشانا هنا ؟ وهل رعى لنا هناك ذمة حتى يرعاها هنا ؟

الحورية المياسة لعمر (بغيظ) — أنا والله دهشة من أمرك. فاني أحس بأنك تريدني .. تريدني . وقد كنت في الدنيا تفعل ما تريد أما هنا فلا تريد أن تفعل !

عمر — كان ذلك هناك ممنوعاً أما هنا فباح !

الحورية (بغضب) — خواطر سارق ! معتدٍ ورب العزة !

عمر (باسماً) — كلا يا شاهرة سيف جمالك ! بل قولي صائد ... فأنص ... فانك ... كانت لنا هناك في ذلك لذة . أما هنا . فسلام ! ..

(موسيقى وستار)

الفصل (١) المنظر (٣)

(تحت احدى خمائل الجنة حيث تجلس في صمت بعض الانسيات بينهن الثريا ومعها زينب ويرى بعض الوصيفات وتسمع موسيقى هادئة حزينة)

إنسية لأخرى (بانكسار) — لقد غررنا حتى تهنا كبراً على الحور

الثانية (بحزن) — ما أعظم شماتتهم بنا اليوم !

الثريا — تتنهد بحزن عميق ....

زينب — أما قلت لك إن الرجال لا عهد لهم ! ؟

الثريا (بمرارة وألم) — من كان يراه وهو يحلف ويؤكد ؟ ! . (ثم مستطردة) ألا ما أكذب الرجال ! !

زينب — وما كان صادقاً وقت أن حلف !

الثريا (بدهشة) — صادقاً ؟ ! . إنك تتهمين الصدق يا زينب ... !

زينب — يا ثريا ... ان للقلوب أسراراً تحير العقول . وكأنما تيسرها قوة خفية يلذ لها أن تسخر منا ومن مواثيقنا المؤكدة وعهودنا المبرمة ! !

الثريا (تتنهد) — هذا مريع .. لقد رأيته بعيني ليلة أمس يدخل القصر مع تلك الحورية .

زينب ـ ولِمَ كل هذا الألم ؟.. أنت نفسك عندما كنتِ مجنونة بحبه في الدنيا ثم أرغمت على الزواج من سعيد بن الحكم . ماذا حدث؟ لقد نفرت . وتأبيت وعاندت ، ثم أخيراً . . . رضخت وأذعنت وضمك وسعيد سقف واحد ...

الثريا (بجزع) ـ أوه . . . ما أفظع ما تقولين . . . إنّ جسدي ليقشعر لتصوُّر ما حدث . ولكني مضيةٌ إليك بأخطر أسراري ... كنتُ حتى في تلك اللحظات المشئومة أغمض عينيّ لأرى أمامي عمر ابن أبي ربيعة لا سعيد بن الحكم ! !

زينب (في دهشة) ـ يا للجنون ؟!

الثريا (باكية) ـ بل ما برح خط رسمه فكري أو ذكره قلبي .

زينب (بتهكم) ـ ولعله أيضاً ليلة أمس ما برح خط رسمك فكره أو ذكرك قلبه ! !

الثريا ـ (بحدة) أتسخرين ؟ !

(وهنا تسمع ضجة مقبلة وصخب وأصوات)

إنسية ـ (صائحة) هيا بنا اليه ! !

أخرى ـ لا بد أن ننتقم !

أخرى ـ لقد غدر بنا . .

أخرى ـ بل أذلّنا أمام الحور !

الجميع ـ الغادر . اللئيم . . . هيا اليه . . .

الفصل (١) المنظر (٤)

(غرفة فاخرة في قصر ابن أبي ربيعة بالجلة حيث يرى جالساً هو وصديقه بكر)

بكر ـ والله أنك لسعيد الطالع يا أبا الخطاب فإن الحورية التي قضيت معها ليلة أمس فتنة الخلد !

عمر . . . ينتبه ـ (إيه . .)

بكر ـ كانت ليلة غناء أليس كذلك ؟ .

عمر (بألم) ـ كنتُ والله أظن قربها يشفيني واذا به يثير كوامن شجوني وما جنيتُ منه غير الحسرة (ثم متنهداً) هيه !! ما ألذ الانسيات !!

بكر (متعجباً) ـ لا أحد في الخلد يشاركك فيما تقول !!

عمر ـ تصوَّر يا بكر قربها بلا وَجَل ولا خوف ولا خَطَر . لا عذول يتجنَّبه أو رقيب نزهه . . . أيّ طعمٍ له وأية حرارة ؟ ثم (باسماً) لكأنها والله يا صديقي كانت ليلة في فراش الزوجية لا مغامرة من مغامرات الحب !

بكر ـ أستغفر الله ! يخيل إليّ يا أبا الخطاب انك لم تطهر من دنس الدنيا بعد، وان فيك لبقيةً من نوازع أهل الأرض !

عمر : (متنهداً) ـ إيهٍ يا ثريا !

(وهنا يصل جمع الانسيات الصاخبات أمام القصر حيث يسمع سخب وهتافات . الغادر . الشيم . . . الكاذب . . .)

بكر (دهشاً) ـ ما هذا الصخب ؟ ثم ينصرف مسرعاً ليستطلع الأمر .

(خارج القصر في أقصى جانب المسرح يشاهد اثنان من الملائكة يمران فيسمعان لغط الانسيات)

الملاك الاول (لرسله) ـ ماذا أسمع ! ؟ ! ألغوٌ في جنة الخلد ؟ !

الملاك الثاني (بعد أن استمع قليلاً) ـ آه . . . ها . ها . ها . ما هذا لغواً . ولكنها شرعة الحب . خصام ووصال . عتاب ورضىً . أحوال كموج البحر . مدٌّ وجزر وهجرٌ ووصلٌ !

إنسية (تصيح في الجمع) ـ هيا اقتحموا عليه القصر .

إنسية أخرى ـ لا بدَّ أن نلتقم !

إنسية أخرى ـ لا بدَّ أن نثأر

إنسية ـ هيا بنا جميعاً

الجميع ـ هيّا . . . هيّا . . (ثم يندفعن نحو باب القصر)

زينب (تصيح في الجمع بصوت آمر) ـ قفوا . . . دعوا الثريا وحدها تدخل !

الجميع ـ نعم ! نعم . ادخلي يا ثريا

إنسية ـ تشجعي !

أخرى ـ كوني جريئة

ثالثة ـ تذكري انه غدر بك

أخرى ـ بل بنا جميعاً

(الثريا تتقدم واجمة وتدخل القصر وتذهب حيث يجلس ابن أبي ربيعة)

الثريا (بثبات) ـ طاب صباحك يا أبا الخطاب !

عمر (متهللاً) ـ أهلاً أهلاً . صباح السعادة يا ثريا . ما هذه الضجة ؟ تفضلي (مشيراً بالجلوس فتجلس على أريكة متقابلة)

الثريا (ساخرة) ـ يالله من لقاء ساحر !

عمر ـ بلا شك . فأنتِ ساحرتي

الثريا ـ (بتهكم) ومن كلامٍ مصول ؟ !

عمر ـ (مندهشاً) أتهكم ؟ أم ماذا ؟

الثريا ـ كما تشاء !

عمر ـ أنت غضبى فما السبب ؟

الثريا ـ كانت ليلة هائلة ؟ أليس كذلك ؟

عمر ـ أية ليلة ؟

الثريا ـ أنسيتَ ما فعلتَ ليلة أمس ؟ لقد رأيتك بعيني رأسي ! (وهنا يزداد صخب الانسيات)

عمر ـ « غاضباً » إذن أنتنّ اللواتي ألبسنَّ عليَّ ومقتنَّ لتهديدي . كأنك تريدين التحكم في حريتي ؟ ألا فاسمعي ؟ . إني ما أبحتُ هذا لأحد قط ولن أبيحه أبداً ....

الثريا ـ (بتهكم) أذكرُ أنك صرحتَ لي مراراً في الدنيا بأنك سعيد بتحكمي هذا الذي تنكره الآن . وكم وضعتَ حريتك هذه التي تغار عليها من النسيم بين يديّ أكثر من مرة !

عمر ـ ثائراً ـ « وقد هبَّ واقفاً » كان ذلك حينما كنتِ وفية . تؤكدين لي من العهود والمواثيق ما جعلني أغرض نفسي لتلف من أجلك . . لكن ألم تخفري ذمتك

العهود ؟ وتخوني تلك الموانيق ؟ ألم تتزوجي من سعيد ؟ ألم تُنجبي منه ؟ . . .
انك أنت التي حللت بيديك حبال سحرك عن قلبي . . .

الثريا ـ وقد أُخذت واضطربت من المفاجأة ـ

عمر ـ بحدة ـ تكلمي ! من الذي خان وخفّر ذمة خدينه ؟

الثريا ـ مطرقة (وقد أخذت وجهها بين كفيها) بربك لا تذكر لفظ الخيانة .
«ثم ترتمي على الاريكة باكية»

عمر ـ متهكماً ـ يا للاحساس الرقيق ! . . .

الثريا ـ (وهي تبكي) ـ لم أخُنك في حياتي لحظة

عمر ـ (بتهكم) ـ وهو يضحك ضحكة هستيرية ـ وعهودك ؟ وموانيقك ؟ انني لك ، لك وحدك ولن أكون لغيرك ولو ذبحوني «ثم مغيراً لهجته ؟» يا للسخرية !
ها أنا بعد طول تجاربي تخدعني المرأة الوحيدة التي وهبتها قلبي !

الثريا (وهي مستمرة في البكاء) — ان ما فعلتُه من أجلك لا يمكن تصوّره . بل فوق طاقة البشر .

عمر (محتدّاً) ـ وماذا كنتِ تتصوّرين ؟ هل ظننتِ الحب ملهاة أم تسلية ؟ ما أغباني حين وثقتُ بك لقد نسيتُ انك امرأة ! !

الثريا (تخنقها العبرات) ـ أنت تظلمني إذ تحملني وحدي تبعة كل ما حدث . كان يجب عليك أن تأتي لتنقذني . . .

عمر (متهكماً) ـ ولما لم آتِ اعتلت ! ! (ثم مغيراً لهجته) في نفس اليوم الذي أعددتُ فيه كل شيء واتّخذتُ طريقي إليك على جناح من اللهفة .
(ثم صائحاً) يا للطعنة الغادرة !

الثريا (بحسرة وهي تبكي) ـ لماذا تأخّرت ؟ لماذا تأخرت . . . لقد كانوا أقوى منّي . . .

عمر (محتدّاً) ـ أكنتِ تريدينني أن أقتل أباك أم أخوتك ؟ ! لو أعلم أن هذا يجعلك لي لخُضت اليك بحاراً من الدم ! بل لو أعلم انك تكونين لغيري لتسلّقتك نحوي ولمزّقتُ جسدك تمزيقاً . . .

الثريا ـ ليتك قد فعلت... فكم تمنّيتُ في تلك المحنة النكراء ان أموت بين يديك !

عمر (ضاغطاً على أسنانه وكأنما يناجي نفسه) ـ آه لو تعلمين كم حطمتُ بسببك من بنات حواء انتقاماً لخيانتك ؟

الثريا (بلهفة وقد رفعت رأسها) ـ إذن كنت تفعل كل ذلك انتقاماً مني ؟!

عمر (ممتدركاً) ـ أوه ... لا . لا . لم يبلغ اهتمامي بك يوماً كل هذا المبلغ . بل ان أي امرأة مهما حَقُر شأنها لهي خير منك لأنها على الأقل لم تتدنس في نظري بالخيانة !

الثريا (بمرارة) ـ ما زلت تقول الخيانة !؟

(هنا يسمع صوت بكر وقد أتى من عند الاقسام الصاخبات ثم يدخل وهو يلهث ويقول)

بكر ـ يا له من يوم ! كدتُ والله أن يمزقني ..

(ويراه يرى الثريا منطرحة تبكي فيقف متدهشاً يردد الطرف بينها وبين عمر الواقف على مسافة منها)

عمر محتقاً (كأنما لم يحس بدخول بكر) ـ كلما تذكرتُ أنك كنت وسعيد .. أوه .. قفّ شعر رأسي (يضع يده على رأسه) وأحسّ كأني انقلبتُ مارداً جباراً لسحقك !! (ثم صائحاً) هيا يا بكر .. هيا نخرج من هذا المكان فاني أحس كأن دماء ألف هيطالٍ تغلي في عروقي وكأن نفسي تحدثني بارتكاب جريمة . أوه . اللهمّ غفرانك . (وقد تذكر انه في الخلد ثم يندفع نحو الباب)

الثريا ـ (باستطاف وهي تنرق بدموعها) كلمة واحدة . سأخبرك بكل شيء . إنهم ...

(ونيل ان ثم جلبتها يكون عمر قد خرج وصفق الباب خلفه بشدة فتعود الثريا للبكاء)

بكر (ماداً رأسه آسفاً) ـ ما أثقل الكبرياء ... انها تصرع حتى الحب ! (ثم يخرج)

(وهنا يدخل جمع الاقسام عليها فيجدنها منطرحة في البكاء فيهدئن ثم تسمع منهن صيحات مكتومة الثائر . الشهم . النامي ...

(ستار وموسيقى تعبر عن أشجان الحب)

القاهرة محمد فهمي